الفقيه والسياسة في" النص السلطاني"
تقديم لأعمال رضوان السيد

د. بومدين بوزيد*

يعتبر مشروع رضوان السيد . المعروف بكتاباته وتحقيقاته المتعددة . من المشاريع الفكرية العربية المعاصرة التي تتواصل بحثاً وإنتاجا[1]، هذا المشروع يمكن توزيع محاوره في الاهتمامات التالية:

1- محور التحقيقات وتقديم الكتب التراثية، وهي تنقسم إلى قسمين، هناك مخطوطات يحقّقها لأول مرّة، وهناك كتب تراثية أعاد تحقيقها وقراءتها ودراستها، فالتحقيق عنده هو في الأصل ليست عملية تقنية ولكنها إعادة قراءة. ومن التحقيقات المتميزة تحقيقه لرسالة "الأسد والغواص"[2] وهي حكاية رمزية عربية من القرن الخامس الهجري عن علاقة المثقف بالحاكم.

2- محور يتعلق بالموضوع الهاجسي الذي يحكم أعمال واجتهادات رضوان السيد وهو البحث في" المقالة السياسية العربية-الإسلامية "من خلال الفقهاء والعلماء سواء من خلال الماوردي وابن المقفع وابن الحداد أو من خلال الكتابة الإصلاحية الحديثة عند خير الدين التونسي أو رشيد رضا.

3- محور يخصّ الفكر العربي-الإسلامي المعاصر واستشرافاته، ويتوزع هذا المحور على الاهتمامات التالية:

---

*- أستاذ محاضر، قسم الفلسفة، جامعة وهران.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– متابعة مايسميه" الإحيائية القتالية "خصوصاً بعد أحداث 11سبتمبر أو كما يسميها البعض" غزوة مانهايتن"، وفي الغالب هي محاضرات ومشاركات مؤتمرية.

– دراسات عن مسائل الدين والدولة في فكرنا العربي–المعاصر وقضايا الوعي التاريخي، ومسائل حقوق الإنسان والديمقراطية، وحقوق المرأة، والمشروع القومي العربي–الوحدوي.

– متابعة الحوار الإسلامي – المسيحي، سواء من خلال التراث، أي متابعة الجدالية في نصوص ماسمي عندنا في القديم بـ"الرد على النصارى"، أو في نصوص الملل والنحل التي خصصت أبواباً للمسيحيين والطوائف الدينية الأخرى.

هكذا يكون قد حقق اثني عشر نصاً منها سبعة نصوص في الفكر السياسي والفقه السياسي والأدبيات السلطانية واثنين في علم الكلام وواحداً في التاريخ والتراجم.[3]

بالنسبة للمحورين الأولين تشعر فعلاً بجهد الباحث وسعيه الدؤوب لتقديم رؤية جديدة للنص التراثي، وهي مسألة بسيكولوجية فهو يفضل البحث في النص التراثي سواء بإعادة قراءته أو دراسته خصوصاً" النص السياسي"، ليفهم بذلك ظاهرة الخلافة، والسلطان، والأمة، والجماعة، وبالاحترام الشخصي، وبالمتابعة المعرفية الدوؤبة واليقضة الذهنية والأخلاقية الدائمة، ولكنه عاد بعد ذلك ليركز على المشروع المفهومي القديم بجوانبه المختلفة النصية والمنهجية والتاريخية وإضافة الترجمة من أجل التطوير المنهجي والمعرفي من الألمانية والإنجليزية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بداية جهده الفكري كان العمل على مشروع فكري بداية السبعينات من القرن الماضي، وكان حول القراءة المفهومية للفكر العربي الإسلامي الوسيط، خصوصاُ علاقة الفقيه بالسلطة، أو ما يعرف بـ" مرايا الأمراء"، ووجوده بألمانيا جعله يتأثر بالدراسات الفيلولوجية واللاهوتية الالمانية فاهتم بنصوص الفقه، السياسة، التاريخ، علم الكلام، وإعادة التحقيق والنشر .

منهج فقه اللغة والتراث:

تعتبر منهجية رضوان السيد فيلولوجية لكنها ليست تقنية باردة خاضعة للنص كما نلاحظ ذلك عند المفكرين العرب في بداية تأثرهم بفقه اللغة أو المنهج الفيلولوجي في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين.

يعتبر جيل رضوان السيد جيل ثالث شاب يحاول أن ينتصر للفيلولوجية في الكتابة العربية التي هوجمت من طرف المفكرين الذين إستهوتهم المنهجيات المعاصرة في العلوم الإنسانية، إنه يمثل جيل مابعد إحسان عباس الذي تأثر به.

إن العودة العربية للفيلولوجيا الألمانية في صيغتها ماقبل قرن الرومانتيكية " التأويل "التاسع عشر مهمّة، ولكن الأهم هو متابعة الدراسات الإنسانية في العلوم الاجتماعية ذاتها، فديلتاي وشليرماخر[4] وإبداعات الألمان في القرن العشرين الفلسفية كغادمير وهابرماس وبول ريكور الفرنسي، والمزج الذي حدث مع المدرسة التحليلية الأنجلوسكونية والتطور الذي إستفاد منه الألمان في الدراسات الألسنية سمح لكثير منه "إعادة إبداع القراءة" وبالتالي معاودة قراءة التراث لأرسطي والأفلاطوني وفلاسفة الأنوار في قضايا السياسة والعدالة التي تشغل بال رضوان السيد، ولا أحسب مفكرنا العربي يصعب عليه ذلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإمكاناته اللغوية وتضلعه في المنهج الفيلولوجي يسمحه له ذلك بمتابعة التطورات الحاصلة، صحيح قد يكون الاتفاق معه حين يصرح في مناسبات عديدة أنه لاتستهوية المنهجيات المعاصرة، خصوصاً إذا تابعنا عملية التعسف في الاستعمال المنهجي على النص التراثي رغم اختلاف السياقات التاريخية والحضارية، فرضوان يترك للنص حرية القول ولايلوي عنقه، وذهابه إلى النصوص السياسية هو ذهاب إلى النص العملي، الأخلاقي-السياسي، وهو نقص نعانيه في مكتباتنا، لقد كان الاهتمام دائماً نظرياً فلسفياً، وحتى إن كان الاهتمام سابقاٌ بالجانب العملي في النص التراثي فمن أجل تأكيد قضايا سجالية في زمننا المعاصر، كما فعل ذلك بعض الكتاب الماركسيين العرب، أو اعتبار ما يعمل عليه رضوان نص" مرايا الأمراء "نصاً تسويغياً للواقع، أي رؤيته، مرايا الأمراء . ضمن التقسيمات الإيديولوجية المادية للتراث العربي . الإسلامي.، من هنا كان إغفال هذه النصوص، وحتى الذين لهم مشاريع فكرية يرون بطريقة كانطية أنه لابد البدء بالجانب النظري ثم الذهاب إلى العملي، وقد يصلون إلى ذلك مرقهين ويكون البحث أقل جذابية ووهجاً من العمل النظري كما هو الحال في تأليفات الجابري الخاصة بالفلسفة العملية " نقد العقل السياسي "و"نقد العقل الأخلاقي".

التحقيق عنده هو قراءة جديدة للنص القديم ويعتبر أن التحقيق عند العرب كشأن معرفي ومنهجي وليس تقني فحسب وهذا في رأيه توفر عند كل من عبد الرحمان بدوي وإحسان عباس ومصطفى جواد.[5]

يرى رضوان السيد أن العودة إلى التجربة السياسية العربية في الوسيط وقضايا السلطة والأمة من خلال الأحكام السلطانية للماوردي والسياسة الشرعية لابن تيمية ومقدمة ابن خلدون تعتبر جزءاً من فهم القضايا التي تطرح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اليوم في ساحة السجال العقدي . السياسي، كما أنها تكشف لنا عن تأويل سياسي . فقهي مورس من طرف فقهائنا، وقد صنف النصوص السياسية التي جمعها إلى الفئات:

1- مدرسة الفقهاء. 2- ومدرسة الآداب السلطانية. 3- ومدرسة المتكلمين. 4- ثم مدرسة الفلاسفة .

إن الماوري بالنسبة لرضوان ينتمي مضمونيا إلى مدرسة الفقهاء، فإشكالية الفقهاء هي كيفية تحقق الشرعية ؟ وإشكالية الآداب السلطانية هي كيفية استمرار السلطة واستقرارها ؟ واشكالية الفلاسفة كيف يكون التدبير عقلانيا أو حكيما ؟ وإشكالية المتكلمين هي كيف تتحقق عقائدية السلطة أو سلامتها الدينية —حسب مذهب الكاتب؟

قول الماوردي بوجوب السلطة بالشرع، يراها رضوان فكرة ليست إسلامية بل هي فكرة مأخوذة عن افلاطون وارسطو، وتبدأ بالقول أن الانسان مدني بالطبع، ولأن الدين يسميه المترجمون عن الاغريقية السنّة أو الناموس أساس قيام الاجتماع البشري فقد استطرد الماوردي فاعتبره أساس الدولة أيضا او ربطه والدولة في مؤسسة واحدة.

ويتساءل من أين جاءت فكرة الماوردي ؟ على إعتبار الامامة حارسة للدين وسائسة للدنيا ؟ فيؤكد على التفسيرين التاليين:

- إما بتأثير الإمامة عند الشيعية، كالقول بالخليفة المعصوم.

– أو أمر إبتدعه الفقهاء والمتكلمون وقوفا إلى جانب السلطة والسلطان لدوافع مختلفة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا يرى رضوان في معرض مناقشته لنصوص" مرايا الأمراء "أن الدولة الاسلامية تدين للدين، بوجودها ضمت الدولة والدين في مؤسسة يسمونها "الخلافة"، هي طريقة ساسانية، فكسرى هو الكاهن الاكبر للديانة الزراداشتية وملك الملوك في الوقت نفسه[6] فالماوردي في كتابه" *نصيحة الملوك* " يقتبس من أردشير .

وقد إنفرد الجويني ت478هـ حسب السيد في المشرق بالدعوة لتوحيد الخلافة والسلطنة في السلطان، أي صاحب سلطة الامر الواقع، ولو عدنا إلى الوراء لوجدنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استن فصل الأرض عن الغنائم فلم يملكها الفاتحون أو المقاتلون بل فرق بين المنقول وغير المنقول، فاعتبر الغنائم هي المنقولات وقسمها كما جاء في القرآن الكريم .

فمؤلفات الفقهاء في الاموال والخوارج بمثابة قراءة للتجربة التاريخية للامة ودعوة لاستمرار الالتزام بها والاجتهاد في نطاقها [7]، إن الفقهاء يعلنون الطاعة للائمة ما حافظوا على أمرين دينيين سياسيين الصلاة والجهاد، وهنا يكون التساؤل هل صحيح أن الشريعة كانت تحتاج للدولة من أجل تطبيقها؟ ثم هل صحيح أن الدولة أو الامامة حرست الشرع أو الدين ؟.

أما نص" الأسد والغواص"، الغواص هنا زاهد حكيم رأى في أمور الدولة بعض الإضطراب فعرض على الملك أن يتعاون معه لإعادة الأمور إلى نصابها في مقابل أن يكون هو أذن الملك، ورأيه ومستشاره، في المجالات التي لا يحسن الإنفراد بالرأي فيها، ورسالة الغواص" المثقف "هي وحدة السلطة والأرض والجماعة ويتم الإتفاق على ذلك ويلعب المثقف" الفقيه "دوراً في إعادة تنظيم إدارة الدولة، والقضاء على المتمردين، وأمراء الأطراف المتغلبين،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن العلاقة تسوء بفعل الغيورين فيجد نفسه في السجن، ثم أطلق سراحه وابتعد عن السلطة وبقيت بينهم المسافة، ولم تكن القطيعة نهائياً بل بقي التزاور والود، يرجع محقق النص أن هذه القصة الرمزية هي رمز للصحوة بعد الحماس الشديد في أوساط العلماء لسياسات السلاجقة الأولى تجاههم، وكانت علاقة السلطة بالعلماء قد استقرت منذ القرن الثالث الهجري على وحدة المشروعية العليا ممثلة بالخلافة، ثم إمارة الاستيلاء أو السلطنة، وجرى انفصام في الواقع بين العلماء والسلطة من باب تقسيم العمل أو مجالات الصلاحية والاهتمام.[8]

كما يقارن بين بعض آراء الماوردي وآراء أبن خلدون، فمثلاً يرى أن تفسير الفساد عندهما إما من الاختلاف على الرياسة أو التنازع في الدين ؟

فابن المقفع يذكر ثلاثة أشكال ممكنة للملك أي للسلطة ملك الدين وملك الحزم وملك الهوى، ويقول الماوردي : هناك ثلاث تأسيسات ممكنة للسلطة تأسيس الدين وتاسيس القوة وتأسيس المال، ويتحدث إبن خلدون وشارحه إبن الازرق عن ثلاثة أنواع للملك : الملك الديني والملك الطبيعي والملك السياسي.[9]

إن الشكل السلبي في هذه التقسيمات هو ملك الهوى وعند إبن خلدون الملك الطبيعي والماوردي تأسيس المال، يقول ابن المقفع عن هذا الملك الأخير" *إنما هو لعب ساعة ودمار دهر*"، أما ملك الحزم أو ملك القوة أو ملك السياسة فهو المطلوب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامش:

1. من مواليد بترشيش جبل لبنان 1949، حصل على الإجازة العالمية من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، والدكتوراه في الفلسفة من جامعة توبنغن ألمانيا سنة 1977. أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة اللبنانية منذ العام 1978. أول عمل لرضوان السيد وزّع بالجزائر في الثمانينات" الأمة والجماعة والسلطة"(1984)، كما عرف بمجلته الفكرية التي توقفت عن الصدور "الاجتهاد"، ومن تحقيقاته التراثية : "الأسد والغواص"، سنة 1979، و""قوانين الوزارة وسياسة الملك" للماوردي سنة 1979، و "نصيحة الملوك" للماوردي سنة 1997. كما ترجم لسوذرن : "صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى" سنة 1983، ولفرانز روزنتال كتاب "مفهوم الحرية في الإسلام".
2. صدرت عن در الطليعة بيروت سنة ط1 1978.
3. ومن المنتظر أن تصدر أو تكون قد صدرت له أعمال أعلن عنها، منها "البغي والخروج: دراسة في أحكام المعارضة والثورة في الفقه الإسلامي، والإعتزال في الفتنة: دراسة في الآثار العقدية والسياسية للحرب الأهلية في الإسلام، وتحقيقان تراثيان عن "سيرة المؤيد بالله، وكتاب الفقيه عبد الوهاب المالكي، "الإشراف في اختلاف الفقهاء".
4. هذا لا يغفله طبعا الباحث رضوان السيد، ولكننا وددنا الإشارة أن قضايا الفهم والتأويل والتفسير بدءاً من دلهاور التيولوجي وشليرماخر وصولاً إلى المدرسة النقدية الألمانية اليوم صحيح ترعرع كل ذلك على أرضية فيلولوجية–لاهوتية، ولكن حدثت تطورات منهجية هائلة بعد ذلك ، مازالت هناك دراسات إستشراقية خاضعة للرؤية الفيلولوجية التقليدية ولكن بريقها بدأ يخفت، طبعاً هنا مهم النقد الأركوني لهذا الإستشراق.
5. المصدر نفسه، ص 46، كما يمكن العودة إلى الفصول التي خصها للماوردي في كتابه: "الأمة والجماعة والسلطة_1984) ومن النصوص التي حققها مؤخراً، "في إختلاف الفقهاء" لعبد الوهاب البغدادي المالكي وفي الادب السياسي كتابان: "تحفة الترك فيمايجب أن يعمل في الملك" ، و"نصيحة الملوك" المنسوب إلى الماوردي
6. رضوان السيد، جوانب من الدراسات الإسلامية الحديثة، نشر الفنك ، الدار البيضاء، 200ص 60.
7. المصدر نفسه، ص،42

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8. رضوان السيد، الأسد والغواص، حكاية رمزية عربية من القرن الخامس الهجري، دار الطليعة، بيروت، ط2 1992.ص 19

9. من الطريف أن رضوان في أحايين كثيرة يذكر رأي المقريزي فيما يخص مفهوم"السياسة" ، فيرى أن السياسة كلمة مأخوذة من "الياسة" وهي القانون العرفي الذي وضعه جنكيزخان التتاري وتبعه مماليك مصر في ذلك، الكلمة حرفها المصريون وزادوا بأولها سيناً وهي ليست كلمة عربية، وفي الجزائر ونتيجة الحقبة الاستعمارية إستخدم مصطلح "البوليتيك" وهي اللفظة الفرنسية ولكن أصبحت ذات مدلول شعبي في اللغة وتعني البهتان والكذب والمزايدة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com